فالذين شاهدوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم
الاخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر الناس لا بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام و
لا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات
الله وسلامه عليه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر
المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب
ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف من الصحابة
كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن
صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان
ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير تقلد امور الناس
ووضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية و
السلطنة ولما مات عمر قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك
وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام انما اريد العلم بالله
افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي
مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما
اورد عليه سؤالا في تعارض ايتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر الناس بهجره
واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل
عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء اخر فلقد كانت شهرة ابي بكر بالخلافة
وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر بالسياسة وكان فضله بالعلم
الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله في ولايته وعدله وشفقته
على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة يتصور صدورها من طالب
الجاه والاسم والسمعة والريا والراغب في الشهوة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل
فيما هو سر لا يطلع عليه فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا
من اراد الله بعلمه وفتواه وذب عن سنته ولم يطلب فيه لا رياء ولا سمعة فاولئك

اهل رضوان وفضلهم عند الله لعلمهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم
فان كل علم عمل فانه علم مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى
الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل بالله به وا لسلطان يتوسط بين الخلق
فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد لعمل
يقصد به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلاثة علم مجرد وهو علم
المكاشفة وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل
وهو علم طريق الاخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك
اتكون يوم القيمة في حزب علماء الله او عمال الله او في حزبيهما وتضرب بسهمك مع
كل فريق منها فهذا اهم لك من التقليد بمجرد الاشتهار ❊ خذ ما تراه ودع شيئا سمعت
به ❊ في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل ❊ على انا سننقل من سيرة فقهاء السلف
ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة
فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات علماء الاخرة
كما سياتي بيانه في باب علامات علماء الاخرة وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا
مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما
صرف الصحابة رضي الله عنهم عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين
بعلم الفتاوى والدواعي متفننة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الان نورد من احوال فقهاء
الاسلام ما يعلم به انما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا
مذهبهم وهو مخالف لهم في علمهم وسيرتهم بالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة
الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة واحمد بن
حنبل وسفيان الثوري وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الاخرة
وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء
العصر من جملتها على خصلة واحدة وهي التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع
لا تصلح الا للاخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والاخرة ان اريد بها الاخرة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)